

قواعد الدعوة وأساليبها في سورة هود عليه الصلاة والسلام

دراسة موضوعية

د. سمير مهبوب صالح

جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية - الخرطوم

ملخص

ما من شكٍ بأن الدعوة إلى الله تعالى من أهمّ الوظائف في هذه الحياة؛ وذلك لأنها السبيل إلى تعريف الناس بخالقهم، وبيان الطريق الموصول إليه، والمنهج السليم في تحقيق العبودية له سبحانه، وهي الوسيلة المثلى لتذكير العالم، وتعليم الجاهل وتنبية الغافل، ولذا كانت هي الوظيفة الأساسية للأنبياء عليهم السلام فهم المبلّغون عن الله رسالاته بأقوالهم وأفعالهم وسيرتهم وشماثلهم، ولمّا كانت الدعوة ميداناً للتعامل مع البشر فقد كان ضبطها بقواعد وضوابط وأسس تساعد في تحقيق مقصدها من الأهويّة بمكان، فإنّ الدعوة إذا لم تكن على هدي الأنبياء فإنّها تفسد أكثر ممّا تصلح، وقد جاءت هذه الدراسة لبيان قواعد الدعوة وأساليبها السليمة التي ينبغي على الدعاة الاقتداء بها واتّخاذها منهجاً، وذلك من خلال دعوة الأنبياء لأقوامهم والتي عرضتها سورة هود، حتّى تكون الدعوة نافعة ومحقّقة أهدافها في تحقيق مهمّة البلاغ والإرشاد.

الكلمات المفتاحية: دعوة الأنبياء، الحكمة والموعظة الحسنة، الترغيب والترهيب، الصبر.

Hud Sûresi'ndeki Davet Kuralları ve Yöntemleri: Semantik Bir Çalışma

Dr. Semîr Meyhûb Salih

Özet

Şüphesiz insanları Hakk'a davet, şu dünya hayatındaki en mühim vazifelerdendir. Zira hak yola davetle kullara Cenâb-ı Hakk'ı tanıtarak O'na giden yollar izah edilmekte, Allah Azze ve Celle'ye kulluğun hakkıyla ifası için icap eden en doğru usûl gösterilmekte, dünyada var oluşun hikmeti hatırlatılmakta, cahili talim ve gafili ikaz vazifesi yerine getirilmektedir. Bu sebeptendir ki, bütün peygamberlerin esas vazifesi böylece tayin olunmuştur. Onlar, hâl, söz, yaşayış ve kuşandıkları bütün vasıflarla Allah'ın vahyini tebliğle mesul zatlardır. Davet, insanlarla münasebet kurmayı iktiza eden bir saha olması hasebiyle, maksada hakkıyla nail olmaya yardım edecek kaide ve kuralların varlığı da bu meyanda gereklidir. Peygamberlerin takip ettiği usulden sapıldığı takdirde, davetin islahtan ziyade ifsat vazifesi göreceği de aşikardır. Bu çalışmada, davetçinin usul kabul edip yapışacağı ve davet esnasında takip edeceği kaideler ile selim yol açıklanacak, Hûd Sûresi'nde örneği görülen, peygamberlerin kavimlerini davet metotları çerçevesinde davetin esasları izah edilecektir. Bu vesileyle, irşat ve tebliğ vazifesini kâmilan ifa hususunda davetin istifadeye medar olması hedeflenmektedir.

Anahtar Kelimeler: Peygamberlerin tebliği, hikmet, öğüt, iyilik, teşvik, tehdit, sabır.

Rules and methods of Da'wah in Surat Hood, peace be upon him: An objective study

Dr. Sameer Mahyoob Saleh Qassem

Abstract

There is no doubt that calling to Almighty Allah is one of the most important tasks in this life because it is the way to introduce people to their Creator and to indicate the path leading to Him. It is the correct approach in achieving servitude to Allah. It is the best way to remind the world, to teach the ignorant and alert the inept. Hence, it was the primary function of the prophets, peace be upon them, as they have reported the messages of Allah and acted that with their words, deeds, lives, and behaviors. Since da'wah is a field for dealing with people, it is very important to control it with rules, principles, and foundations that help in achieving its purpose. If the call to prayer is not on the guidance of the prophets, then it spoils more than it is suitable. This study came to show the rules and the right methods of the call that the preachers should follow and take as a method, that is through the prophets calling for their people, which was presented in Hood chapter. The call to Allah is useful and its goals can be achieved in fulfillment of the call's mission in communication and guidance.

Keywords: The call of the prophets, wisdom and good advice, encouragement, and intimidation, patience.

مقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين، محمّد بن عبد الله الصادق المصدوق الأمين، وعلى آله وصحبه، وسلّم تسليمًا كثيرًا.

أمّا بعد، فإنّ الدعوة إلى الله هي أشرف الوظائف وأفضل الأعمال، وهي الوظيفة الأساسية للأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، والعمل الرئيس لسائر الهداة والمصلحين، الذين يعدّون حملة الدين إلى الناس بعد الأنبياء عليهم السلام.

وقد بيّن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم عظمة شأنهم؛ حيث جعلهم أرفع الناس درجة وأكثرهم تأثّرًا وتأثيرًا بالدين الحنيف، فعن أبي موسى، عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضًا، فكان منها نقية، قبلت الماء، فأنبتت الكلاً والعشب الكثير، وكانت منها أجادب، أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى، إنّما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تنبت كلاً، فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»^١.

ولقد رسم القرآن الكريم خير مناهج الدعوة فيما وصف للدعاة في آياته، وفيما قصّ الله تعالى عن النبيين والمرسلين من طرق دعوتهم إلى الله عزّ وجلّ، والتي تعدّ النموذج الأعلى للداعين إلى الله، ولقد تعدّدت المواضع القرآنية التي تحدّثت عن الدعوة وقواعدها، وتعدّ سورة هود إحدى السور المكيّة التي بيّنت الدعوة إلى الله عزّ وجلّ.

١ أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الفضائل، باب فضل من علم وعلم، برقم ٧٩، ١ / ٢٧، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وسننه وأيامه، صحيح البخاري، محمّد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي.

سبب اختيار موضوع البحث

١. بيان أهميّة الالتزام بقواعد الدعوة إلى الله عزّ وجلّ.
٢. لفت الانتباه إلى ضرورة اتّخاذ أساليب قرآنية في الدعوة إلى الله عزّ وجلّ.
٣. بيان أهميّة إمام الداعية بقواعد الدعوة إلى الله عزّ وجلّ وأساليبها؛ من أجل تحقيق أكبر فائدة من هذه الدعوة، ولتقليص الفجوة بين الداعية والمدعوّ.

أهميّة موضوع البحث

تظهر أهميّة الموضوع من خلال شرف المحتوى وهدفه؛ حيث إنّه يتناول قواعد الدعوة إلى الله عزّ وجلّ وأساليبها من خلال سورة من سور القرآن الكريم، ألا وهي سورة هود عليه السلام، التي قال النبيّ عليه الصلاة والسلام عنها: «شيبّني هود، والواقعة، والمرسلات، وعمّ يتساءلون، وإذا الشمس كورت». كما تظهر هذه الأهميّة من خلال أسباب اختيار الموضوع آنفة الذكر.

أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى:

١. بيان قواعد الدعوة إلى الله عزّ وجلّ من خلال سورة هود عليه السلام.
٢. بيان أساليب الدعوة الواردة في السورة.

هيكل البحث

يتضمّن البحث: مقدّمة، وتمهيداً، ومبحثين، وخاتمة، فالتمهيد يتضمّن: تعريف قواعد الدعوة، أساليب الدعوة، التعريف بسورة هود عليه السلام.

المبحث الأول: قواعد الدعوة إلى الله من خلال سورة هود عليه السلام، وفيه:

القاعدة الأولى: الدعوة إلى الله طريق من أتبع الرسل عليهم الصلاة والسلام

القاعدة الثانية: الإخلاص لله في الدعوة

القاعدة الثالثة: البدء بالأهمّ فالأهمّ (التدرُّج)

القاعدة الرابعة: الدعوة بالحكمة

القاعدة الخامسة: الصبر في طريق الدعوة

القاعدة السادسة: التسلُّح بالعلم الذي يمكنه من إيصال الحقِّ إلى قلوب الخلق
«أتباع الأنبياء هم القلَّة».

- قرابة الدين أولى من قرابة النسب.

- على الداعية تبليغ ما يستطيع.

- على الداعية أن يصبر على أذى الناس.

المبحث الثاني: أساليب الدعوة إلى الله عزَّ وجلَّ من خلال سورة هود عليه
السلام. وفيه

- أسلوب الحكمة.

- أسلوب القصص.

- أسلوب الترغيب والترهيب.

- الخاتمة، وتتضمَّن أهمَّ النتائج والتوصيات.

تمهيد

يأتي التمهيد مرحلة أولى في توضيح مفاهيم الكلمات المفتاحية للبحث والذي يتضمن ثلاثة محاور رئيسة هي: تعريف قواعد الدعوة، أساليب الدعوة، التعريف بسورة هود عليه السلام.

أولاً: مفهوم قواعد الدعوة

تعدُّ قواعد الدعوة من المركبات الاصطلاحية وهي تتكوّن من شقّين هما: القواعد، والدعوة، وللوصول إلى تعريف المركّب لا بدّ من الوقوف على تعريف كلّ مفردة على حدة.

القواعد في اللغة: جمعُ مفردُه قاعدة، وهي تأتي على عدّة معانٍ في اللغة منها:

١- الأساس، والقواعد دعائم كلّ شيء، كقواعد البيت وغيرها، جاء في لسان العرب: «القواعد: الأساس، وقواعد البيت أساسه. وفي التنزيل قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧] وفيه: قال تعالى: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهَ بُنْيَانُهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَحَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتْلَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النحل: ٢٦].

٢- الأصل: وهو أسفل كلّ شيء، و«القواعد: أساطين البناء التي تعمّده. وقواعد الهودج: خشبات أربع معترضة في أسفله تركّب عيدان الهودج فيها. قال أبو عبيد: قواعد السحاب أصولها المعترضة في آفاق السماء، شبهت بقواعد البناء»^١.

ومن هنا فإنّ القاعدة: هي الأساس والأصل لما فوقها.

القاعدة في الاصطلاح: «قضية كلّية منطبقة على جميع جزئياتها»^٢.

١ لمحمّد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الأفرقي، ٣ / ٣٦١.

٢ كتاب التعريفات، لعلي بن محمّد بن علي الزين الشريف الجرجاني، ١٧١.

كما أنّها تعرّف بأنّها «قضيّة كليّة من حيث اشتمالها بالقوّة على أحكام جزئيات موضوعها»^١.

هذا إجمالاً» وبالتفصيل قضيّة كليّة تصلح أن تكون كبرى الصغرى سهلة الحصول، حتّى يخرج الفرع من القوّة إلى الفعل. قال السيّد السند رحمه الله تعالى: وجه كونه تفصيلاً: أنّه علم به أنّ الأمر الكليّ المذكور أوّلاً أريد به القضيّة الكليّة لا المفهوم الكليّ، كالإنسان مثلاً وإن ذهب إليه بعض القاصرين. وعلم أيضاً أنّ المراد بالجزئيات ليس جزئيات ذلك الأمر الكليّ كما يتبادر إليه الوهم؛ إذ ليس للقضيّة جزئيات تحمل هي عليها، فضلاً عن أن يكون لها أحكام يتعرّف منها، بل المراد جزئيات موضوع تلك القضيّة؛ فإنّ لها أحكاماً تتعرّف منها، فخرجت الشرطيّات؛ إذ ليس لها موضوع، وعلم أيضاً أنّ تلك الأحكام منطوية في تلك القضيّة المشتملة عليها بالقوّة. فهذا الاشتمال هو المراد بانطباق الأمر الكليّ على جزئيات موضوعه باعتبار أحكامها التي تتعرّف منه»^٢.

ويلاحظ من التعاريف أنّ القاعدة: ما يستقرّ عليه الشيء ويثبت. ولقد توافقت المعنى الاصطلاحي والمعنى اللغوي في بيان ذلك.

ثانياً: مفهوم الدعوة

الدعوة في اللغة: من دعا بالشيء دعواً ودعوة ودعاء ودعوى طلب إحضاره،^٣ «وأصل الدعاء: طلب الفعل دعا يدع»^٤. و «الدُّعاء: الرّغبة إلى الله عزّ وجلّ. دَعَاهُ دُعَاءً ودَعَوَى»^٥.

الدعوة في الاصطلاح: «من المعلوم أنّ الدعوة صارت علماً مستقلاً له موضوعه،

١ الكليات، لأبي البقاء أثوب بن موسى الحسيني الكفوي، ٧٢٨.

٢ موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، لمحمّد بن علي ابن القاضي محمّد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي، ١٢٩٥ / ٢.

٣ المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ٢٨٦.

٤ الفروق اللغوية، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، ٢٨.

٥ المحكم والمحيط الأعظم، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، ٣٢٥ / ٢.

وخصائصه، وأهدافه، وهو بذلك يواكب سائر العلوم الإسلامية؛ يُفيدها ويستفيد منها، ويشاركها في إفادة الإسلام برسم طريق منهجيّ يكفل له الانتشار والذيع^١. وتأتي الدعوة بمعنى النشر والذيع وبمعنى الدين، فتُعرّف بالمعنى الأوّل بأنّها: العلم الذي به تُعرف كأفّة المحاولات الفنيّة المتعدّدة الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام بما حوى من عقيدة وشرعية وأخلاق^٢.

وتُعرّف الدعوة بمعنى الدين بأنّها: «الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم بما أمروا به، فالدعوة إليه من الدعوة إلى الله تعالى وما أبغضه الله ورسوله فمن الدعوة إلى الله النهي عنه، ومن الدعوة إلى الله أن يفعل العبد ما أحبه الله ورسوله ويترك ما أبغضه الله ورسوله من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، وبما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلّم من أسماء الله وصفاته، ومن سائر المخلوقات كالعرش والكرسيّ؛ والملائكة والأنبياء، وأن يكون الله ورسوله أحبّ إليه ممّا سواهما»^٣.

«والدعوة الإسلامية: هي الخضوع لله والانقياد لتعاليمه بلا قيد ولا شرط، ومن المعلوم أنّ الانقياد لله دليل الخضوع له؛ ولذا اشترط الاختيار الحرّ في هذا الانقياد ليتحقّق الخضوع التام»^٤.

ويمكن إجمال التعريفات السابقة بهذا التعريف فنقول: الدعوة إلى الله هي: «تبليغ الناس جميعاً دعوة الإسلام وهدايتهم إليها قولاً وعملاً في كلّ زمان ومكان، بأساليب ووسائل خاصّة تتناسب مع المدعوّين على مختلف أصنافهم وعصورهم»^٥. وبالنظر في التعريفات السابقة يتبيّن أنّ المعنيين الاصطلاحيين بينهما علاقة واضحة؛ فبينهما وحدة في المصدر، ووحدة في الهدف وهو تبليغ الدين والدعوة

١ الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، لأحمد أحمد غلوس، ١٠.

٢ انظر المرجع نفسه، ١٢.

٣ مجموع الفتاوى، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلّيم بن تيمية الحرّاني، ٢٠ / ٧.

٤ الدعوة الإسلامية وأصولها ووسائلها، ١٣.

٥ أساليب الدعوة والإرشاد، لمحمّد أمين، ٩.

إلى الله عزَّ وجلَّ.

فقواعد الدعوة إلى الله: الأحكام الكلية التي يتوصَّل بها إلى استنباط مناهج ووسائل وأساليب الدعوة وكيفية الاستفادة منها.^١

«وقد دارت مادَّة الدعوة في القرآن الكريم (٢١٢) مرَّة، ويفهم عند النظرة الأولى تنوُّع استعمال مادَّة الدعوة وعباراتها ووسائلها وأسبابها ومناهجها، وأنَّ أهداف الدعوة وطرقها تتعدَّد وتختلف حسب اختلاف البيئات، وتنوُّع أساليب الحياة مع وحدة الهدف البعيد».^٢

ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]، وقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [٤٥] وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥ - ٤٦]، وقوله تعالى: ﴿وَأَدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

وبعد تعريف مفردتي (قواعد- الدعوة) نستطيع تعريف المركَّب الإضافي بأنَّه: الأسس التي تقوم عليها الدعوة إلى دين الله عزَّ وجلَّ، الذي ارتضاه الله للعالمين، وأنزل تعاليمه وحيًا إلى الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحفظها في القرآن الكريم والسنة النبوية.

ثالثًا: أساليب الدعوة

الأسلوب في اللغة: مجاز مأخوذ من معنى الطريق الممتدِّ أو المسطرَّ من النخيل. وكلُّ طريق ممتدِّ فهو أسلوب. والأسلوب الطريق، والوجه، والمذهب؛ يقال: أنتم في أسلوب سوء، ويجمع أساليب. والأسلوب: الطريق تأخذ فيه. والأسلوب، بالضمِّ: الفنُّ؛ يقال: أخذ فلان في أساليب من القول أي: أفانين منه.^٣

١ المفصل في الفقه إلى الله، لعلي نايف الشحوذ، ٤ / ١٠٤.

٢ الدعوة الإسلامية وتطوُّرها في شبه القارة الهندية، لمحي الدين الألواني، ١٢.

٣ لسان العرب، لابن منظور، (س ل ب)

جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة أن الأسلوب» [مفرد]: ج أساليبُ:

١ - طريقة، مذهب، نمط «سلكت أسلوب فلان في معالجة المشكلة، لكلِّ إنسان أسلوب في الحياة»، أسلوب حُكم: شكله ونظامه، أسلوب سلبِيّ: تصوّف سلبِيّ، الأساليب الحديثة للتربية: المناهج، والطُّرق العلميّة.

٢ - طريقة في الكتابة «لكلِّ أديب أسلوبه، يُعَيَّر أسلوبه»،^١ أساليب القول: فنونه المتنوّعة، أسلوب العصر: السّمة الغالبة على العصر، وتستخلص من كلّ مقدّماته في الدّين والفنِّ والفلسفة والعلوم، أسلوب رشيق: أنيق، أسلوب سخيّف: ركيك، ركافة الأسلوب: ضعفه.

٣ - وسيلة، طريقة الوصول إلى المطلوب»^١.

وبالنظر في المعنى اللغوي لكلمة أسلوب يتبيّن لنا أمران:

الأوّل: البعد المادّي الذي نجده في معنى الأسلوب، وهو الطريق الممتدُّ أو السطر النحيل.

الثاني: البعد المعنويّ (الفنّي) والذي تمثّل في أساليب القول وأفانيه. وفي كلا المعنيين فإنّ الغاية من هذا هي الوصول إلى هدف محدّد.

الأسلوب في الاصطلاح: من المعنى اللغوي يمكن القول بأنّ الأسلوب في الاصطلاح: مجموعة من الطرق العلمية التي يسلكها الشخص لإيصال فكرة أو دعوة أو رأي.

وأسلوب الدعوة: مجموع الطرق العلمية الفنّية التي يسلكها الداعية في عرض الأفكار التي يتعلّمها ويطبّقها أثناء تبليغ الدعوة إلى الناس.

رابعاً: التعريف بسورة هود عليه السلام

«هي مائة وثلاث وعشرون آية، وهي مكيّة في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر ومجاهد وابن زيد، وقال ابن عبّاس وقتادة: إلا آية وهي قوله: (وأقم الصلاة طرفي النهار)، وقال مقاتل: أو إلا (فلعلك تارك) الآية (وأولئك يؤمنون به) الآية. والحاصل أنّ المدني عند ابن عبّاس آية واحدة، وعند مقاتل آيتان. وعن كعب قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «اقرأوا هود يوم الجمعة» أخرجه الدارمي وأبو داود والبيهقي وغيرهم، وعن أبي بكر الصديق قال: قلت: يا رسول الله، لقد أسرع إليك الشيب، فقال: «شيبني هود والواقعة والمرسلات وعمّ يتساءلون وإذا الشمس كورت» أخرجه الطبراني والترمذي وحسنه. وعن أنس مرفوعاً: وهل أتاك حديث الغاشية رواه البزار، وقد روي بطرق عن جمع من الصحابة. قال بعض العلماء: سبب شيبه من هذه السورة: ما فيها من ذكر القيامة والبعث والحساب والجنّة والنار، والله أعلم بمراد رسوله صلّى الله عليه وسلّم»^١.

وفي نهاية هذا المبحث تتجسّد لنا المفاهيم الأساسية للبحث، والتي احتوت على ثلاثة مفاهيم: مفهوم قواعد الدعوة إلى الله، ومفهوم أساليب الدعوة إلى الله، وتعريف مجمل بسورة هود عليه السلام. وفي المباحث التالية سوف يتناول الباحث قواعد الدعوة إلى الله، ثمّ تليها أساليب الدعوة إلى الله من خلال سورة هود عليه السلام.

١ فتح البيان في مقاصد القرآن، لأبي الطيّب محمّد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي، ٦/ ١٣٥.

المبحث الأول: قواعد الدعوة إلى الله من خلال سورة هود عليه السلام

للدعوة إلى الله قواعد وأسس تقوم عليها ذكرها القرآن الكريم في هذه السورة في غير موضع.

ومن أهم هذه القواعد

القاعدة الأولى: الدعوة إلى الله طريق من اتبع الرسل عليهم الصلاة والسلام

فالرسل عليهم الصلاة والسلام هم القدوة لمن تبعهم، وهم الأسوة لمن جاء بعدهم؛ ولذا نجد أن من أهم ما يجب الالتفات إليه في طريق الدعوة إلى الله تعالى: اتباع سنتهم وطريقتهم في دعوتهم إلى الله عز وجل، ولنا في القصص القرآني أكبر دليل على ذلك، فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام سلكوا في دعوتهم أقوامهم طرقاً شتى، تنوعت بين حوار وإنذار، وترغيب وترهيب وغيرها من الوسائل.

فدعوة نوح عليه السلام بدأت بالإنذار لقومه^١ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْيَوْمِ﴾ [هود: ٢٥ - ٢٦].

وتأتي دعوة هود عليه السلام فتبدأ بالدعوة إلى التوحيد قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَإِن أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنِّي أَجْرِي إِلَّا عَلَىٰ الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [هود: ٥٠ - ٥١]، وهنا لمحة التكليف لتبليغ الدعوة فقد «كَلَّفَ الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ بِالذَّهَابِ إِلَى الْخَلْقِ، لَا سِيَّمَا وَقَدْ عَايَنُوا بِالْحَقِّ - مِنْ تَقَدُّمِهِمْ مِنْ فِتْرَةِ الْمَلَأَ، وَلَكِنَّهُمْ تَحَمَّلُوا ذَلِكَ حِينَ أَمَرَهُمُ الْحَقُّ بِالتَّوَجُّهِ إِلَيْهِمْ فَرَضُوا، وَأَظْهَرُوا الدَّلَالَهَ، وَأَدَّوْا الرِّسَالَهَ، وَلَكِنْ مَا زَادَ النَّاسَ إِلَّا نَفْرَهَ عَلَى نَفْرَهٍ»^٢.

١ بحر العلوم. لأبي الليث نصر بن محمَّد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، ١٤٥ / ٢.

٢ لطائف الإشارات، لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، ١٤٠ / ٢.

ويؤكد صالح عليه السلام على ضرورة البدء بالتوحيد قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ تَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: ٦١]. وهكذا في كل دعوة رسول تتجدد الدعوة إلى التوحيد.

وأتباع الرسل عليهم الصلاة والسلام منهج دعا إليه القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَمِيدُ﴾ [المتحنة: ٦].

القاعدة الثانية: الإخلاص لله في الدعوة

«الإخلاص: إفراد الحق في الطاعة بالقصد، وقيل: ارتفاع الرؤية عن الفعل، وقيل: تصفية العمل عن ملاحظة المخلوقين»^١.

والإخلاص لب العبادات وسر قبولها من المولى عز وجل، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٣﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]، وتشير سورة هود إلى الإخلاص لله تعالى؛ فقد جاء على لسان هود عليه الصلاة والسلام ذكر ابتغاء الأجر من الله تعالى على الدعوة، قال تعالى: ﴿يَقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [هود: ٥١]، وجاء كذلك على لسان نوح عليه السلام قال تعالى: ﴿وَيَقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِظَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُّلتَقُوا رَبَّهُمْ وَلَكِنِّي أَرْسَلْتُكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ [هود: ٢٩]. فقد «أخبرهم عن شفقتهم وقلة طمعه في أموالهم فقال: (ويا قوم لا أسألكم عليه مالا) يعني: لا أطلب منكم على الإيمان أجرا يعني: رزقا ولا جعلاً (إن أجري إلا على الله) يعني: ما ثوابي إلا على الله»^٢.

فالذي ينبغي على الداعية إلى الله تعالى أن يقصد بهذا العمل وجه الله عز وجل

١ معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ٢١٩.

٢ بحر العلوم. لأبي الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، ١٤٧.

بقوله وعمله وجهاده، وأن يبتغي مرضاته، فهذا أحرى بأن ينال التوفيق والسداد والقبول.

القاعدة الثالثة: البدء بالأهمّ فالأهمّ (التدرُّج)

وهذا منهج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في الدعوة إلى الله، فتبدأ دعوتهم بتوحيد الله عزّ وجل، حتّى إذا ما آمن الناس برّب العزّة نزلت الأحكام والشرائع، ولنا في سيرة النبي محمّد صلّى الله عليه وسلّم المثال الأظهر لذلك، وهذا ممّا لا يخفى على مسلم مدرك للسيرة النبويّة الشريفة، ويأتي هذا التدرُّج في سورة هود عليه السلام بعد الدعوة إلى التوحيد، فيأمر كلّ نبي قومه وينهاهم عمّا كانوا عليه من الفساد والضلال.

وقصّة شعيب عليه السلام توضّح ذلك أشدّ إيضاحاً، قال تعالى: ﴿وإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَانُكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَقَوْمِ أَوفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعَثُوا فِي الْأَرْضِ مُمْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَتْ اللَّهُ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ [هود: ٨٤ - ٨٦].

ولقد حتّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم على التدرُّج في الدعوة؛ «فعن ابن عبّاس رضي الله عنهما: أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لما بعث معاذاً إلى اليمن قال: «إنّك تقدم على قوم أهل كتاب، فليكن أوّل ما تدعوهم إليه عبادة الله، فإذا عرفوا الله، فأخبرهم أنّ الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا فعلوا، فأخبرهم أنّ الله فرض عليهم زكاة من أموالهم تؤخذ من أغنيائهم فتردّ على فقرائهم، فإذا أطاعوا بها، فخذ منهم وتوقّ كرائم أموال الناس»^١.

١ رواه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، برقم ٧٣٧٢، ١١٤/٩، رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، برقم ٣١، ٣٨/١.

القاعدة الرابعة: الدعوة بالحكمة

جاء في سورة النحل قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥] فهذه الآية الكريمة ذكرت القواعد العامة للدعوة إلى الله، وفي كل سورة نجد أنه ينطبق عليها هذه الأصول والأسس وهي:

١- الأسلوب الحكيم في الدعوة.

٢- الموعظة الحسنة.

٣- المجادلة بالتي هي أحسن.

و«على هذه الأسس يُرسي القرآن الكريم قواعد الدعوة ومبادئها، ويعين وسائلها وطرائقها، ويرسم المنهج للرسول الكريم، وللدعاة من بعده بدينه القويم فلننظر في دستور الدعوة الذي شرَّعه الله في هذا القرآن، والدعوة بالحكمة، والنظر في أحوال المخاطبين وظروفهم، والقدر الذي يبينه لهم في كلِّ مرَّة حتَّى لا يثقل عليهم ولا يشقُّ بالتكاليف قبل استعداد النفوس لها، والطريقة التي يخاطبهم بها، والتنوع في هذه الطريقة حسب مقتضياتها. فلا تستبدُّ به الحماسة والاندفاع والغيرة فيتجاوز الحكمة في هذا كلِّه وفي سواه. وبالموعظة الحسنة التي تدخل إلى القلوب برفق، وتعمِّق المشاعر بلطف، لا بالزجر والتأنيب في غير موجب. ولا بفضح الأخطاء التي قد تقع عن جهل أو حسن نيَّة؛ فإنَّ الرفق في الموعظة كثيرًا ما يهدي القلوب الشاردة، ويؤلِّف القلوب النافرة، ويأتي بخير من الزجر والتأنيب والتوبيخ. وبالجدل بالتي هي أحسن بلا تحامل على المخالف ولا تذييل له وتقيح. حتَّى يطمئن إلى الداعي ويشعر أنَّ ليس هدفه هو الغلبة في الجدل، ولكن الإقناع والوصول إلى الحقِّ»^١.

وتظهر حكمة الأنبياء عليهم السلام في محاوراة أقوامهم؛ فنوح عليه السلام

١ في ظلال القرآن، لسيد قطب إبراهيم حسين الشاربي ٤/ ٢٢٠٢.

بعد أن أبلغ قومه ودعاهم إلى عبادة الله وسلك معهم كل الوسائل؛ قال: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْدِعَهُمْ فِي عَادَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا وَاسْتَكْبَرُوا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾﴾ [نوح: ٥ - ٩].

ويتهمه قومه بكثرة الجدل فيجيبهم؛ قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَبْنُوحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ قُلْ إِنْ أَفْتَرَيْتُهُ فَعَلَىٰ إِجْرَائِي وَأَنَا بِرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾ وَأُوْحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَأَصْنَعِ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [هود: ٣٢ - ٣٧].

وقوم هود يتهمه قومه كذلك بأنه أصابه شيء من السوء بعد أن بين لهم ودعاهم إلى التوحيد؛ قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [هود: ٥٣ - ٥٤].

القاعدة الخامسة: الصبر في طريق الدعوة

إن دعوات الحق ما قامت ولن تقوم إلا باستصحاب الصبر، ولقد ذكر القرآن الكريم في قصص الأنبياء عليهم السلام والمؤمنين بهم كيف صبروا، وأمر المؤمنين كذلك بالصبر والمصابرة فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

ومن أنواع الصبر: الصبر على ما يُصيب الإنسان بغير اختياره من المصائب، وهي نوعان:

نوع لا اختيار للخلق [فيه] ، كالأمراض وغيرها من المصائب السماوية، فهذه

يسهّل الصبر فيها؛ لأنّ العبد يشهد فيها قضاء الله وقدره، وأنّه لا مدخل للناس فيها، فيصبر إمّا اضطرارًا وإمّا اختيارًا.... والنوع الثاني ما يحصل له بفعل الناس في ماله أو عرضه أو نفسه، فهذا النوع يصعب الصبر عليه جدًّا؛ لأنّ النفس تستشعر المؤذي لها، وهي تكره الغلبة، فتطلب الانتقام، فلا يصبر على هذا النوع إلاّ الأنبياء والصدّيقون، وكان النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إذا أُوذي يقول: «يرحم الله موسى، قد أُوذي بأكثر من ذلك، فصبر». ^١ وهذا النوع من الصبر عاقبته النصر والهدى والشّور والأمن، والقوّة في ذات الله، وزيادة محبّة الله ومحبة الناس له، وزيادة العلم. ^٢

القاعدة السادسة: التسلّح بالعلم الذي يمكّنه من إيصال الحقّ إلى قلوب الخلق

«إنّ كثيرًا من الدعوات بسبب الحماسة والاستعجال في تبليغ الدين، وعدم التسلّح بالعلم؛ وقعت في أخطاء جسيمة وأرزاء كبيرة، وإنّ كان كثير منها يقرب من الحقّ كثيرًا؛ فإنّه -والحالة هذه- يلزم أهل الاختصاص تصحيح هذه الأخطاء وتثبيت المفاهيم الصحيحة؛ ليستقيم المسار، ولتتضح الرؤية، حيث كان لهذه الأخطاء عواقب وخيمة ونتائج سيئة أثرت سلبيًا على مستقبل الدعوة إلى الله تعالى، وجعلت المتربّصين بهذا الدين يحقّقون أشياء ليست بالقليلة من أهدافهم». ^٣

وانطلاقًا من هذه النقطة كان لا بدّ من الوقوف على أهميّة إعداد الدعاة إعدادًا جيّدًا، كما أعدّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أصحابه لنشر دعوة الإسلام، وإنّ أحرى ما ينبغي البدء به هو الإعداد العقدي للمحاجة وإثبات الدعوة الحقّة إلى الله عزّ وجلّ، لا سيّما في عصرٍ تكاثرت فيه الفتن وتشعبت فيه الطرق، فكان لازمًا على العلماء والمصلحين إعداد جيل دعوي يستطيع مواجهة جميع ذلك بكلّ رسوخ وثبات.

إنّ «العلم قبل العمل، قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾

١ أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، برقم ٣٩٠٢، ٧ / ١٨.

٢ جامع المسائل، لابن تيمية، ١ / ١٦٧.

٣ البصيرة في الدعوة إلى الله، لعزیز بن فرحان العنزي، ١٤.

[محمد: ١٩]، ' فقدّم العلم على العمل، والواقع أنّ تقديم العلم على أيّ عملٍ ضروريّ للعامل حتّى يعلم ما يريد؛ ليقصده ويعمل للوصول إليه، وإذا كان سبق العلم لأيّ عملٍ ضروريًّا، فإنّه أشدُّ ضرورةً للداعي إلى الله؛ لأنّ ما يقوم به من الدين منسوب إلى ربِّ العالمين، فيجب أن يكون الداعي على بصيرة وعلم بما يدعو إليه، وبشرعيّة ما يقوله ويفعله ويتركه، فإذا فقد العلم المطلوب واللازم له كان جاهلاً بما يريده، ووقع في الخبط والخلط والقول على الله ورسوله بغير علم، فيكون ضرره أكثر من نفعه، وإفساده أكثر من إصلاحه، وقد يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف؛ لجهله بما أحلّه الشرع وأوجبه، وبما منعه وحرّمه، فيجب إذن لكلّ داعٍ إلى الله تعالى العلم بشرع الله، وبالاحلال والحرام، وبما يجوز وما لا يجوز، وبما يسوّغ فيه الاجتهاد وما لا يسوّغ، وما يحتمل وجهين أو أكثر، وما لا يحتمل. والعلم ما قام عليه الدليل الشرعي من كتاب الله أو سنّة رسوله أو من أدلّة الشرع الأخرى، وعلى المسلم أن يستزيد من هذا العلم الشرعي النافع ليعرف موضوع دعوته، وليكون فيها على بصيرة وبيّنة، فلا يأمر إلاّ بحقّ، ولا ينهى إلاّ عن باطل^١.

إنّ «نجاح الدعوة إلى الله تعالى مرهون بالعلم الشرعي المؤصّل، ومن دعا إلى الله تعالى بجهل فإنّه يخالف أمر الله تعالى في الدعوة إليه على بصيرة وعلم، وأنّ ضرره وفساده متحقّق ولا شكّ.

فإذا وفّق الله تعالى الداعية إلى العلم الشرعي، ونال نصيبًا وافراً منه فإنّ الواجب عليه أن يعرف كيفيّة أداء هذا العلم، والطريق المناسبة التي يبلغ بها الدين، وهذا لا يتمُّ إلاّ بمعرفة أصناف المدعوّين، ولن ينجح الداعية إلى الله تعالى إذا لم يعرف من يدعوهم، سواء كانوا مسلمين أو كفّارًا، ولم يعرف مستويات ثقافتهم، وأيضًا لن يوفّق إذا لم يكن عنده دراية ومعرفة بوسائل وأساليب وطرق الدعوة إلى الله تعالى، فهذه هي الأدوات التي يستعملها الداعية إلى الله تعالى لكسب المدعوّين^٢.

وسورة هود بيّنت ذلك أيّما بيان؛ فجاء في أثناء قصص الأنبياء عليهم السلام

١ أصول الدعوة، لعبد الكريم زيدان، ٣٢٦.

٢ البصيرة في الدعوة إلى الله، ٧٥.

ومحاورتهم أقوامهم الكثير من الدلالات التي تدلُّ على ضرورة التسلُّح بالعلم، وضرورته في مواجهة الكافرين والجاحدين.

فنوح عليه السلام يذكر قومه بأنه على بينة وعلم من الله عزَّ وجلَّ، قال تعالى: ﴿قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَعَآتَنِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمْوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَاهُونَ﴾ [هود: ٢٨]، وكذلك صالح عليه السلام، قال تعالى: ﴿قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَعَآتَنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ، فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ [هود: ٦٣]. وكذلك شعيب قال تعالى: ﴿قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكُكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَلَكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

ويلزم بعد هذه القواعد التعرُّف على أساليب الدعوة وطرقها حتَّى تكون الصورة واضحة تمام الوضوح.

المبحث الثاني: أساليب الدعوة إلى الله عزَّ وجلَّ

تعددت الأساليب الدعوية بين ترغيب وترهيب وأمر وجدل، وكلُّ هذه الأساليب إنما تهدف إلى غاية واحدة هي تصحيح مسار الإنسان في الحياة، ويشمل ذلك الجانب العقدي أولاً، ويليه بقيَّة جوانب الحياة الأخرى، وفي هذا المبحث يتطرَّق الباحث إلى بيان موجز عن أهمِّ الأساليب الواردة في سورة هود عليه السلام.

وسبق أن أشار الباحث إلى أنَّ المقصود بأسلوب الدعوة: مجموع الطرق العلمية الفنيَّة التي يسلكها الداعية في عرض الأفكار والتي يتعلَّمها الداعية ويطبِّقها أثناء تبليغ الدعوة إلى الناس.

وتتنوع الأساليب الدعوية؛ لكنَّها تكون ضمن أربعة أساليب هي:

- الأساليب التي تحرك العاطفة والشعور والوجدان.

١ أهويَّة الدعوة إلى الله، ناصر السيف، www.saaidnet، اطَّلَع عليه بتاريخ ١٩ مارس ٢٠٢١م.

- الأساليب التي تدعو إلى التفكُّر والتدبُّر والاعتبار.

- الأساليب التي تعتمد على التجارب الإنسانية.

- الأساليب العامَّة مثل الخطابة والسؤال والجواب وغيرها.

وهذه الأساليب الأربعة تأتي مجتمعة في نظم يعجز الإنسان عن الإتيان بمثله، فسور القرآن الكريم خاطبت العاطفة والوجدان، وخاطبت العقل والفكر في آن واحد، ممَّا جعلها دعوة محبِّبة إلى النفس تفود صاحبها إلى الاتِّباع والطاعة؛ ولذا على من يدعو إلى الله الالتزام بذلك.

ومن سياق سورة هود العظيمة يتَّضح روعة وجمال الأساليب الدعوية التي جمعت بين خطاب الروح والعقل، ويتبيَّن ذلك من خلال أساليب متعدِّدة، وسنقتصر على الأساليب الآتية:

أولاً: أسلوب الحكمة

سبق أن أشار الباحث إلى ضرورة الالتزام بقاعدة الدعوة بالحكمة، ويندرج تحتها هذا الأسلوب.

فهو «يعدُّ الأسلوب في الدعوة إلى الله الأقوى والأفضل والأعمُّ، وإنَّ أوَّل واجب على الدعاة إلى الله تعالى أن يتعلَّموا الحكمة والبصيرة؛ حتَّى يفلحوا في دعوتهم ويُرضوا ربَّهم تعالى؛ لأنَّها من نعم الله تعالى يؤتيها من يشاء من عباده، قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ٢٦٩]»^١.

وتعرَّف الحكمة بأنَّها: «الإصابة في الأقوال والأفعال، ووضع كلِّ شيء في

موضعه»^٢.

١ فقه الدعوة من أمثال النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لسارة بنت عبدالله جمعة، ١٨٧.

٢ الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، لسعيد بن علي بن وهف القحطاني، ٢٧.

والمقصود من الحكمة في الدعوة: «حسن تصرّف الدعاة في مختلف المواقف، ومعالجة كل أمر بما يناسبه؛ رفقا وتلطفاً أو حزمًا وعزمًا، وتوجيه المدعوين بما يناسب أحوالهم، واختيار أفضل الأفعال والأقوال والمناهج والوسائل والأساليب الملائمة لواقع حال الدعوة والمدعوين»^١.

ومما سبق يتضح أنّ الدعوة بأسلوب الحكمة يعدّ من ضروريّات الدعوة ونلمح ذلك الأسلوب في ثانيا سورة هود عليه السلام حيث افتتحت بالحكمة؛ قال تعالى: ﴿الرَّكِيْبُ أَحْكَمَتْ ءَايَتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمِ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَإِنْ أَسْتَعْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ [هود: ١ - ٤].

ومعنى الحكمة هنا «جعلت آياته (القرآن) محكمة في أمور أحدها: أنّ معاني هذا الكتاب هي التوحيد والعدل والنبوة والمعاد، وهذه المعاني لا تقبل النسخ فهي في غاية الإحكام. وثانيها: أنّ الآيات الواردة فيه غير متناقضة، والتناقض ضدّ الإحكام، فإذا خلت آياته عن التناقض فقد حصل الإحكام. وثالثها: أنّ ألفاظ هذه الآيات بلغت في الفصاحة والجزالة إلى حيث لا تقبل المعارضة، وهذا أيضًا مشعر بالقوة والإحكام. ورابعها: أنّ العلوم الدينية إمّا نظريّة وإمّا عمليّة؛ أمّا النظرية فهي معرفة الله تعالى، ومعرفة الملائكة والكتب والرسول واليوم الآخر، وهذا الكتاب مشتمل على شرائف هذه العلوم ولطائفها، وأمّا العملية فهي إمّا أن تكون عبارة عن تهذيب الأعمال الظاهرة وهو الفقه، أو عن تهذيب الأحوال الباطنة وهي علم التصفية ورياضة النفس، ولا نجد كتابًا في العالم يساوي هذا الكتاب في هذه المطالب، فثبت أنّ هذا الكتاب مشتمل على أشرف المطالب الروحانية، وأعلى المباحث الإلهية، فكان كتابًا محكمًا غير قابل للنقض والهدم»^٢.

و«الحكمة نوعان: النوع الأوّل: حكمة علمية نظرية، وهي الإطلاع على بواطن

١ فقه الدعوة من أمثال النبي صلى الله عليه وسلم، ١٨٧.

٢ مفاتيح الغيب، لفخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، ١٧/ ١٤٣.

الأشياء، ومعرفة ارتباط الأسباب بمسبباتها، خلقاً وأمرًا، قدرًا وشرعًا. النوع الثاني: حكمة عملية، وهي وضع الشيء في موضعه.

فالحكمة النظرية مرجعها إلى العلم والإدراك، والحكمة العملية مرجعها إلى فعل العدل والصواب، ولا يمكن خروج الحكمة عن هذين المعنيين؛ لأنَّ كمال الإنسان في أمرين: أن يعرف الحقَّ لذاته، وأن يعمل به، وهذا هو العلم النافع والعمل الصالح. وقد أعطى الله عزَّ وجلَّ أنبياءه ورسله ومن شاء من عباده الصالحين هذين النوعين»^١.

وقصص الأنبياء الواردة في سورة هود عليه السلام بيّنت أيّما بيان هذه الحكمة في محاورتهم لأقوامهم ودعوتهم إلى الله عزَّ وجلَّ، وقد سبق أن تطرَّق الباحث لبعض دعواتهم أقوامهم للتوحيد أوّلاً. وممّا ينبغي التنبُّه إليه أنَّ أسلوب الحكمة ينطوي تحته كلُّ الأساليب الفرعية من ترغيب وترهيب، وأمر ونهي، وقصص وأمثال وما إلى ذلك، وسوف يقتصر الباحث على ذكر أسلوب القصص وأسلوب الترغيب والترهيب.

ثانياً: أسلوب القصص

« القصة: الخبر، والجمع قصص، وهو القَصص، وقد قصَّ عليّ خبره يقصُّه قصًّا وقصصًا وتقصصت كلامه: حفظته، وتقصصت الخبر: تتبعت»^٢.

والقصة في الاصطلاح: الخبر عن الأمور التي يتلو بعضها بعضًا، حتّى تتناول الأمر من جميع جوانبه.^٣

وفي الاصطلاح القرآني: هي: «إخباره عن أحوال الأمم الماضية والنبؤات السابقة والحوادث الواقعة، وقد اشتمل القرآن على كثير من وقائع الماضي، وتاريخ الأمم، وذكر البلاد والديار وتتبع آثار كلِّ قوم. وحكى عنهم صورة ناطقة لما كانوا

١ الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، ٣٥.

٢ المخصّص، لأبي الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده، ٣/ ١٠٥١.

٣ ينظر: الفروق اللغوية، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، ٤٢.

عليه»^١.

وقيل: «هي خبر أخبر به الله تعالى رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم بحوادث الماضي، وموجود بين دفتي المصحف، بقصد العبرة والهداية، سواء كان بين الرسل وأقوامهم، أو الأمم السابقة أفراد وجماعات»^٢.

جاء ترتيب قصص الأنبياء في هذه السورة المباركة على النحو الآتي: قصة نوح عليه السلام، ثم قصة هود عليه السلام، فقصة صالح عليه السلام، وبعدها قصة إبراهيم عليه السلام، وقصة لوط عليه السلام، ثم قصة شعيب عليه السلام، وأخيراً قصة موسى عليه السلام.

وقد اتفقت جميع هذه القصص على منهج الدعوة وبدايتها؛ حيث إنَّها دعت إلى التوحيد وعبادة الله وحده وهذا يتوافق مع افتتاح السورة في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿الَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ [هود: ٢].

والله تعالى في القرآن الكريم إذا أورد على الكافر الدلائل أتبعها بالقصص ليؤكد تلك الدلائل، وقد بدأ بذكر هذه القصة ليؤكد تلك الدلائل، وقد بدأ بذكر هذه القصة في سورة يونس، وأعادها ههنا؛ لما فيها من زوائد الفوائد»^٣.

ونأخذ قصة نوح عليه السلام نموذجاً؛ فقد قال تعالى في عرضها: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِتِي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٠١﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْيَوْمِ﴾ [هود: ٢٥ - ٢٦].

قال رشيد رضا: «إنَّ هذا سياق جديد في السورة، أكد به ما قبله من الدلائل

١ مباحث في علوم القرآن، لمناع القطان، ٣١٦.

٢ العبرة من قصة موسى في القرآن الكريم، لمحمد خير عدوي، ١٠.

٣ الباب في علوم الكتاب، لأبي حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، ١٠ / ٤٦٥.

٤ هو: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني، البغدادي الأصل، الحسيني النسب، صاحب مجلة (المناور) وأحد رجال الإصلاح. أشهر آثاره: مجلة (المناور) أصدر منها ٣٤ مجلداً، و تفسير القرآن الكريم، ولم يكمله، ونداء للجنس اللطيف. ولد سنة: (١٢٨٢هـ) وتوفي سنة: (١٣٥٤هـ). الأعلام للزركلي، ٦ / ١٢٦.

على أصول الدين من التوحيد والبعث والنبوة، فهو يشترك معه في جملته لا مع آخر آية منه، وعندني أن هذه القصة معطوفة على ما في أول هذه السورة من ذكر بعثة محمد رسول الله وخاتم النبيين صلى الله عليه وسلم بمثل ما بعث به من قبله من الدعوة إلى عبادة الله وحده، وبعثه نذيراً وبشيراً، والإيمان بالبعث والجزاء؛ ليعلم قومه أنه صلى الله عليه وسلم ليس بدعاً من الرسل، وأن حاله معهم كحال من قبله من الرسل عليهم السلام مع أقوامهم إجمالاً وتفصيلاً^١.

وكان ردُّ قومه له: «﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرَىٰ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا تَرَىٰ إِلَّا تَبْعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّئِ الرَّأْيِ وَمَا تَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ [هود: ٢٧].. وذلك ردُّ العليّة المتكبرين.. الملاء.. كبار القوم المتصدّرين.. وهو يكاد يكون ردُّ الملاء من قريش: ما نراك إلا بشراً مثلنا، وما نراك أتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل، بل نظنُّكم كاذبين. الشبهات ذاتها، والاتِّهَامات ذاتها، والكبرياء ذاتها، والاستقبال الغبي الجاهل المتعافي! إنها الشبهة التي وقرت في نفوس جهال البشر: أن الجنس البشري أصغر من حمل رسالة الله، فإن تكن رسالة فليحملها ملك أو مخلوق آخر. وهي شبهة جاهلة، مصدرها عدم الثقة بهذا المخلوق الذي استخلفه الله في أرضه»^٢.

ويذكر الله عزَّ وجلَّ في هذا الموضع من قصة نوح عليه السلام قصته مع ابنه وما كان من كفره وعصيانه فكانت عاقبته مثل عاقبة قومه في الغرق، وفي ردِّ فعل نوح بعد فقد ابنه ومشاعر الأبوة الجياشة التي خالجتة ممَّا جعله ينادي المولى عزَّ وجلَّ بقوله: «رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ [هود: ٤٥]. «فجاءه الردُّ بالحقيقة التي غفل عنها. فالأهل -عند الله وفي دينه وميزانه- ليسوا قرابة الدم، إنَّما هم قرابة العقيدة. وهذا الولد لم يكن مؤمناً، فليس إذن من أهله وهو النبي المؤمن.. جاءه الردُّ هكذا في قوَّة وتقرير وتوكيد وفيما يشبه التقرير والتأنيب والتهديد: «﴿قَالَ يَنْفُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا

١ تفسير القرآن الحكيم، لمحمد رشيد بن علي رضا، ١٢ / ٥١.

٢ في ظلال القرآن، لسيد قطب، ٤ / ١٨٧١.

تَسْأَلِنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ عِظْمَكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾ [هود: ٤٦]. إنها الحقيقة الكبيرة في هذا الدين. حقيقة العروة التي ترجع إليها الخيوط جميعاً؛ عروة العقيدة التي تربط بين الفرد والفرد ما لا يربطه النسب والقرابة»^١.

كان عاقبة الكافرين من قوم نوح عليه السلام الغرق، هكذا جاء الأمر الإلهي، قال تعالى: ﴿وَأَصْنَعُ الْفُلَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَلِّطْ بِنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ الْفُلَّكَ وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسَخَرُوا مِنِّي فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُثْقِمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَذَلْنَا أَحْمِلَ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ * وَقَالَ أَرُكْبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبَهَا وَمُرسَهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ أَرُكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَوِّىْ إِلَىٰ جِبَلٍ يَْعَصُمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا غَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْمَأُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَىٰ الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَكِيمِينَ ﴿٤٥﴾ [هود: ٣٧-٤٥]. وهكذا جاءت كل قصة بدايتها ونهايتها بما يحقق الهدف من الدعوة إلى الله تعالى.

ثالثاً: أسلوب الترغيب والترهيب

يعدُّ أسلوبا الترغيب والترهيب من الأساليب القصصية القرآنية، وهما يحملان أهمية كبيرة، وقيمة عظيمة في التوجيه النفسي والعقلي والسلوكي.

الترغيب في اللغة: «مصدر رغب، فالراء والغين والباء أصلان: أحدهما طلبٌ لشيء، والآخر سعةٌ في شيء، فالأول الرغبة في الشيء: الإرادة له. رغبْتُ في الشيء. فإذا لم تُردّه قلت: رغبْتُ عنه. ويقال من الرغبة: رغب يرغب رغباً ورغباً

١ في ظلال القرآن، لسيد قطب، ٤/ ١٧٩-١٨٨٠.

وَرَعْبَةٌ وَرَعْبَىٌّ مِثْلُ شَكْوَىٍّ، وَالْآخِرُ الشَّيْءُ الرَّغِيبُ: الْوَاسِعُ الْجَوْفُ. يُقَالُ: حَوْضٌ رَغِيبٌ»^١.

١- التَّارِيبُ فِي الْإِصْطِلَاحِ: «وَعَدُّ يَصْحَبُهُ تَحْيِيْبٌ وَإِغْرَاءٌ، بِمِصْلَحَةِ أَوْ لَذَّةٍ أَوْ مَتْعَةٍ آجِلَةٍ، مُؤَكَّدَةٌ، خَيْرَةٌ، خَالِصَةٌ مِنَ الشَّوَائِبِ، مُقَابِلُ الْقِيَامِ بِعَمَلٍ صَالِحٍ، أَوْ الْإِمْتِنَاعِ عَنِ لَذَّةِ ضَارَةٍ أَوْ عَمَلٍ سَيِّئٍ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ، وَذَلِكَ رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ لِعِبَادِهِ»^٢. أَوْ هُوَ «كُلُّ مَا يَشْوِقُ الْمَدْعُوَّ إِلَى الْإِسْتِجَابَةِ وَقَبُولِ الْحَقِّ وَالثَّبَاتِ عَلَيْهِ».

التَّارِيبُ فِي اللَّغَةِ: «مِصْدَرُ رَهَبٍ وَرَهَبٌ (رَهَبٌ) الرَّاءُ وَالْهَاءُ وَالْبَاءُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَى خَوْفٍ، وَالْآخِرُ عَلَى دَقَّةٍ وَخَفَّةٍ، فَالْأَوَّلُ الرَّهْبَةُ: تَقُولُ: رَهَبْتُ الشَّيْءَ رَهْبًا وَرَهْبًا وَرَهْبَةً. وَالتَّرَهُّبُ: التَّعَبُّدُ».

٢- التَّارِيبُ فِي الْإِصْطِلَاحِ: «وَعِيدٌ، وَتَهْدِيدٌ بِعُقُوبَةٍ تَتَرْتَّبُ عَلَى إِقْتِرَافِ إِثْمٍ، أَوْ ذَنْبٍ مِمَّا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ، أَوْ عَلَى التَّهَاوُنِ فِي أَدَاءِ فَرِيضَةٍ مِمَّا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ، أَوْ هُوَ تَهْدِيدٌ مِنَ اللَّهِ يَقْصِدُ بِهِ تَخْوِيفَ عِبَادِهِ، وَإِظْهَارَ صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ الْجَبْرُوتِ، وَالْعِظْمَةَ الْإِلَهِيَّةَ، لِيَكُونُوا دَائِمًا عَلَى حَذَرٍ مِنْ ارْتِكَابِ الْهَفْوَاتِ وَالْمِعَاصِي، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنزِلُ الَّذِينَ أَتَقَوْا وَنَنذُرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧١ - ٧٢]»^٣.

وهذان الأسلوبان لا ينفك أحدهما عن الآخر، فهما يجمعان بين اللين في التَّارِيبِ، والشَّدَّةِ فِي التَّارِيبِ، يَقُولُ الْإِمَامُ الشَّاطِبِيُّ: «إِذَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ التَّارِيبُ قَارَنَهُ التَّارِيبُ فِي لَوَاحِقِهِ أَوْ سَوَابِقِهِ أَوْ قَرَائِنِهِ، وَبِالْعَكْسِ، وَكَذَلِكَ التَّرْجِيحُ مَعَ

١ معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، باب رغب، ٢/ ٤١٥، لسان العرب، لابن منظور، فصل الراء، ٤/ ٤١٣. أصول

التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، لعبد الرحمن النحلاوي، ٢٣٠.

٢ أصول الدعوة، لعبد الكريم زيدان، ٤٣٧. ينظر: مقاييس اللغة، لابن فارس، باب رهب، ٢/ ٤٤٧، لسان العرب، لابن منظور، ١/ ٤٣٦.

٣ أصول التربية الإسلامية، لعبد الرحمن النحلاوي، ٢٣١.

٤ هو: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، أصولي حافظ، من أهل غرناطة، كان من أئمة المالكية، من كتبه: الموافقات في أصول الفقه، والمجالس شرح به كتاب البيوع من صحيح البخاري، والاتفاق في علم الاشتقاق وأصول النحو، والاعتصام في أصول الفقه. ينظر: الأعلام، للزركلي، ١/ ٧٥.

التخويف، وما يرجع إلى هذا المعنى مثله، ومنه ذكر أهل الجنة يقارنه ذكر أهل النار، وبالعكس؛ لأن في ذكر أهل الجنة بأعمالهم ترجية، وفي ذكر أهل النار بأعمالهم تخويفاً؛ فهو راجع إلى الترجية والتخويف»^١

ونلمح الترغيب في دعوة هود عليه السلام حيث رغب قومه، قال تعالى: ﴿وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ [هود: ٥٢].

والمعنى «ويا قوم استغفروا ربكم (أي: آمنوا به، فالاستغفار هنا بمعنى الإيمان؛ لأنه هو المطلوب أولاً) ثم توبوا إليه (يعني: من شرككم وعبادتكم غيره ومن سالف ذنوبكم) يرسل السماء عليكم مدراراً (يعني: ينزل المطر عليكم متتابعاً مرة بعد مرة في أوقات الحاجة إليه، وذلك أن بلادهم كانت مخصبة كثيرة الخير والنعم، فأمسك الله عنهم المطر مدة ثلاث سنين، فأجذبت بلادهم وقحطت بسبب كفرهم، فأخبرهم هود عليه السلام أنهم إن آمنوا بالله وصدقوه أرسل الله إليهم المطر فأحيا به بلادهم كما كانت أول مرة) ويزدكم قوة إلى قوتكم (يعني: شدة مع شدتكم، وقيل: معناه أنكم إن آمنتم يقوكم بالأموال والأولاد وذلك أنه سبحانه وتعالى أعقم أرحام نسائهم فلم تلد، فقال لهم هود عليه السلام: إن آمنتم أرسل الله المطر فتزدادون مالا، ويعيد أرحام الأمهات إلى ما كانت عليه فيلدن فتزدادون قوة بالأموال والأولاد، وقيل: تزدادون قوة في الدين إلى قوة الأبدان»^٢.

«ورغبهم عليه السلام بكثرة المطر وزيادة القوة؛ لأنهم كانوا أصحاب زروع وبساتين وعمارات، وقيل: حبس الله تعالى عنهم القطر وأعقم أرحام نسائهم ثلاث سنين، فوعدهم هود عليه السلام على الاستغفار والتوبة كثرة الأمطار وتضاعف القوة بالتناسل، وقيل: القوة الأولى في الإيمان، والثانية في الأبدان، أي: يزدكم قوة في إيمانكم إلى قوة في أبدانكم، وَلَا تَتَوَلَّوْا أَي: لا تعرضوا عمّا دعوتكم إليه مُجْرِمِينَ

١ الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمّد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، ٤ / ١٦٧.

٢ لباب التأويل في معاني التنزيل، لعلاء الدين علي بن محمّد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، ٣ / ٢٣٧.

مصيرين على ما أنتم عليه من الإجرام، وقيل: مجرمين بالتولي، وهو تكلف^١.

فما كان من قومه إلا أن قالوا: ﴿قَالُوا يَهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي
ءَالِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾^{٥٣} إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا
بِسُوءِ قَوْلِ إِيَّيْ أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [هود: ٥٣ - ٥٤]. فأنزل
الله عليهم العذاب لكفرهم وبطشهم، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ءَاثِرُ مَا جَدَّوْا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ
وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾^{٥٤} وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ
الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا إِنَّ ءَادَا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بَعْدَ لَعَادِ قَوْمِ هُودٍ﴾ [هود: ٥٩ - ٦٠].

وتحوي قصّة شعيب مع قومه جانب التهيب من عذاب الله تعالى؛ حيث يحذر
شعيب قومه، ويأمرهم بالإصلاح وعدم الإفساد، قال تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ
شُعَيْبًا قَالَ يَقَوْمُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۗ وَلَا تَنْقُضُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ
إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾^{٨٤} وَيَقَوْمِ أَوفُوا الْمِكْيَالَ
وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۗ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾^{٨٥}
بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ [هود: ٨٤ - ٨٦].

إن «الأنبياء عليهم السلام يشرعون في أول الأمر بالدعوة إلى التوحيد؛ فلهذا
قال شعيب عليه السلام: (مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهٍ غَيْرُهُ) ثُمَّ إِنَّهُمْ بَعْدَ الدَّعْوَةِ إِلَى التَّوْحِيدِ
يُشْرَعُونَ فِي الْأَهْمِ ثُمَّ الْأَهْمِ، وَلَمَّا كَانَ الْمَعْتَادُ مِنْ أَهْلِ مَدْيَنَ الْبَخْسُ فِي الْمِكْيَالِ
وَالْمِيزَانِ دَعَاهُمْ إِلَى تَرْكِ هَذِهِ الْعَادَةِ فَقَالَ: (وَلَا تَنْقُضُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ)، وَالنَّقْصُ
فِيهِ عَلَى وَجْهَيْنِ، أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ الْإِيْفَاءُ مِنْ قَبْلِهِمْ فَيَنْقُصُونَ مِنْ قَدْرِهِ، وَالْآخَرُ:
أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْاسْتِيفَاءُ فَيَأْخُذُونَ أَزِيدَ مِنَ الْوَاجِبِ، وَذَلِكَ يُوجِبُ نَقْصَانَ حَقِّ الْغَيْرِ،
وَفِي الْقَسْمَيْنِ حَصَلَ النَّقْصَانُ فِي حَقِّ الْغَيْرِ. ثُمَّ قَالَ: (إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ)، وَفِيهِ وَجْهَانِ:
الْأَوَّلُ: أَنَّهُ حَذَّرَهُمْ مِنْ غَلَاءِ السَّعْرِ وَزَوَالِ النِّعْمَةِ إِنْ لَمْ يَتَوَبَّوْا، فَكَأَنَّهُ قَالَ: اتْرَكُوا هَذَا
التَّطْفِيفَ وَإِلَّا أَرَاكَ اللَّهُ عِنْدَكُمْ مَا حَصَلَ عِنْدَكُمْ مِنَ الْخَيْرِ وَالرَّاحَةِ. وَالثَّانِي: أَنْ يَكُونَ
التَّقْدِيرُ أَنَّهُ تَعَالَى أَتَاكُمْ بِالْخَيْرِ الْكَثِيرِ وَالْمَالِ وَالرَّخْصِ وَالسَّعَةِ، فَلَا حَاجَةَ بِكُمْ إِلَى

١ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي، ٦/

هذا التطفيف. ثم قال: (وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيْطٍ) وفيه أبحاث:

البحث الأول: قال ابن عباس رضي الله عنهما: أخاف أي: أعلم حصول عذاب يوم محيط، وقال آخرون: بل المراد هو الخوف؛ لأنه يجوز أن يتركوا ذلك العمل خشية أن يحصل لهم العذاب، ولما كان هذا التخويف قائماً فالحاصل هو الظن لا العلم.^١

فما كان منهم إلا أن كذبوا وأصروا على ما هم فيه من الضلال والكفر، فأنزل الله عذابه عليهم، قال تعالى: ﴿وَيَقَوْمٌ لَا يَجْرَمُكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمٌ لُّوْطٍ مِّنْكُمْ بِبَعِيدٍ ۝٨٩﴾ وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ۝٩٠﴾ قَالُوا يَشْعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرُكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ۝٩١﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيَّ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُّحِيْطٌ ۝٩٢﴾ وَيَقَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلٌ سَوْفٌ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُّخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَأَرْتَقِبُوا إِلَيَّ مَعَكُمْ رَقِيبٌ ۝٩٣﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَحْنُ شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿هود: ٨٩ - ٩٤﴾.

ويلاحظ من خلال هذه السورة العظيمة أن أسلوب الترهيب والتفريع يغلبان عليها؛ لأنها من السور المكيّة، والتي تتّصف بالشدة والقرع على الكفار، بخلاف السور المدنية، فهذا هو الطابع العام للسور المكيّة.

الخاتمة

في ختام هذا البحث توصلنا لمجموعة من النتائج أبرزها:

١- رسمت سورة هود منهجاً قوياً للدعوة والدعاة.

٢- تضمّنت هذه السورة العظيمة مجموعة من قواعد الدعوة، ومن أهمّ هذه القواعد: أنّ الدعوة إلى الله هي طريق الأنبياء والرسل، فيجب اتباعهم والسير على نهجهم، كما ينبغي الاتّصاف بالإخلاص لله عزّ وجلّ، وضرورة التدرّج في الدعوة، ومراعاة حالات الناس وأحوالهم.

٣- جمعت الأساليب الدعوية القرآنية بين العاطفة والعقل والتفكّر في آن واحد، وبرز ذلك بشكل واضح من خلال أسلوب الحكمة، وأسلوب القصص، وأسلوب الترغيب والترهيب.

المصادر والمراجع

- أساليب الدعوة والإرشاد، محمّد أمين، جامعة اليرموك، ١٩٩٩م.
- أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، عبد الرحمن النحلأوي، دار الفكر، ط ٢٥، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
- أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، مؤسّسة الرسالة، ط ٩، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
- الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمّد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، ط ١٥، ٢٠٠٢م.
- أهية الدعوة إلى الله، ناصر السيف، www.saaidnet، اطّلع عليه بتاريخ ١٩ مارس ٢٠٢١م.
- بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمّد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، ت: محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت.
- البصيرة في الدعوة إلى الله، عزيز بن فرحان العنزي، دار الإمام مالك، أبو ظبي، ط ١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- تفسير القرآن الحكيم، محمّد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.
- جامع المسائل، لابن تيمية، ت: محمّد عزيز شمس، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٢٢هـ.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمّد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، ت: محمّد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصوّرة عن السلطانية بإضافة ترقيم: محمّد فؤاد عبد الباقي)، ط ١، ١٤٢٢هـ.
- الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، سعيد بن علي بن وهف القحطاني، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية.
- الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، أحمد أحمد غلوس، دار الكتب الإسلامية، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط ٢، ١٩٨٧م.
- الدعوة الإسلامية وتطوّرها في شبه القارة الهندية، محي الدين الألأوي، دار القلم، دمشق، ط ١، ١٩٨٦م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد

الله الحسيني الألويسي، ت: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ.

- سنن الترمذي، محمّد بن عيسى بن سؤرة بن موسى بن الضحّاك، الترمذي، أبو عيسى، ت: أحمد محمّد شاكر (ج ١، ٢) ومحمّد فؤاد عبد الباقي (ج ٣) وإبراهيم عطوة عوض المدرّس في الأزهر الشريف (ج ٤، ٥)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط ٢، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
- لطائف الإشارات، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، ت: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط ٣، ١٤٢٣هـ.
- العبرة من قصّة موسى في القرآن الكريم، محمّد خير عدوي، جامعة الملك عبد العزيز، رسالة ماجستير.
- فتح البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيّب محمّد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنّوجي، عني بطبعه وقدم له وراجعته: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصريّة للطباعة والنشر، صيدا، بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، ت: محمّد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط ٤٢.
- فقه الدعوة من أمثال النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سارة بنت عبد الله جمعة، رسالة ماجستير منشورة، جامعة طيبة بالمدينة المنورة، لعام ١٤٢٥هـ - ١٤٢٦هـ.
- في ظلال القرآن، سيّد قطب إبراهيم حسين الشاربي، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط ١٧، ١٤١٢هـ.
- كتاب التعريفات، علي بن محمّد بن علي الزين الشريف الجرجاني، ضبطه وصحّحه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- الكليات، أبو البقاء أيّوب بن موسى الحسيني الكفوي، ت: عدنان درويش، محمّد المصري، مؤسّسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمّد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني ت: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمّد معوض،

- دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- لسان العرب، محمّد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، دار صادر، بيروت، ط ٣، ١٤١٤هـ.
- مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مكتبة المعارف، ط ٣، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م).
- مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العبّاس أحمد بن عبد الحلّيم بن تيمية الحراني، ت: أنور الباز، عامر الجزار، دار الوفاء، ط ٣، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، ت: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- المخصّص، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده، ت: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمّد النجار)، دار الدعوة.
- معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر، بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط ١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- معجم مقالات العلوم في الحدود والرسوم، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ت: محمّد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
- مفاتيح الغيب، فخر الدين محمّد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- المفصل في الفقه إلى الله، علي نايف الشحوذ.
- الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمّد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، ت: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفّان، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمّد بن علي ابن القاضي محمّد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي، تقديم وإشراف ومراجعة: رفيق العجم، ت: علي دحروج، نقل النصّ الفارسي إلى العربية عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط ١، ١٩٩٦م.